

سَعِيَّةٌ عَقْلٌ

قَدَمُوسٌ

مِنْ شَوْرَاقِ قَلَمِ هَسْ

بِیروت

قـدمـوس

مـدرسة بـخـلاصة بـنـانـية

للمؤلف

بنت يفتاح (مأساة) سنة ١٩٣٥
المجدلية سنة ١٩٣٧

سعی و عمل

قریب

مألة

من اشهر المؤلفين

الطبعة الاولى : ايار ١٩٤٤
جميع الحقوق محفوظة.

إلى رفاقي القدامسة ،
إلى الذين اعتزموا ان يرقوا الى الحقيقة
ليكون لبنان وطناً للحقيقة .

فهرسة لبنانية

« سوف نبقى ايشاء أم لا ايشاء الغير ؟
فاصمذ ، لبنان ، ما بك ونحن !
سوف نبقى الابد ، في الارض ، من حق ؟
وما من حق ولم نبقى نحن ! »

لبنان وطنٌ للحقيقة^(١) .

هكذا شاء ان يكون ؛ هكذا فليعلن ، عهدٌ تضيحُ خريطة العالم بانها كُن من أجلِ أحداث التاريخ : اكتناء العقل ، والتوغل في ماهية المادة .
والواقعُ أنَّ التاريخ — وهو الذاكرة العجيبة التي لا تأبى للتوافه — يُرجح أن يمسح من باله كل ما انتاب القرنين الأخيرين من ثورات وحروب وانقلابات ، فلا يبقى من نتاجهما الا على ذينك الحدين اللذين يحصلان في خمسين سنة حولنا .

واذا كان نشاط البشر — اي تحقيق الانسان ذاته — راح يدور على الله ، والنفس ، والمادة ؛ وراح العقل ، رابعهم ، يكون الآلة المستخدمة في ذلك النشاط ، فأيمن بإعلان لبنان ملكوتاً للحقيقة آخر ، في النصف القرن المبارك الذي تُرسل الانسانية فيه نوراً على العقل والمادة ، أي على اثنتين من ركائز الوجود الرابع .



(١) يلخص هذا البحث محاضرات وخطباً القيت بين ١٩٣٥ و ١٩٤٤

ما لبنان ؟ متى كان ولماذا ؟ وفيما يعلن ؟

مرافق وجود لتجسيد الوعي ، راح يكون منذ ما راح العقل يعقل ، وقد استحال عليه ، لفيزيقيته وليتافيزيقيته ، ان لا يستمر يحنك بالتقدم . وهو يعلن ، لا لأنه اليوم ضرورة اكثر مما كان في كل الأزمنة ، بل لأن وعي الذين يعونه اكتمل . والحقيقة تروح تعلن نفسها فور صيرورتها الحقيقة .

جماعة من الناس تحيا على الساحل الشرقي من المتوسط ، ضمن إطار فذ لا هو تحوم اقليسيّة ، ولا نسب عراقي ، ولا سوري نطقي ، ولا وحدة تاريخ أي تاريخ كان ؛ بل هو عجيبي كثر في السير صعداً من غباوة المادّة الى وعي العقل . ما أمتنا بأمة أخذنا بما تعارفت عليه السياسة منذ أن راحت تنحدر من أوج أشرف علم - علم تعهد الأناسي - الى «إنجاب» المكياقلين . حتى اذا كان المقصود بالأمة جماعة من الناس نيرة ، قادرة ، هادية ، فنجهز حينئذ بأنه إن لم يكن لبنان بطلق معنى ، فقد راح اكثر من كل بلد آخر يتجه هذا الاتجاه .

أول ما يطالع المتعرف بنا أننا شعب ندرّصن ، والمسكونة رعونة ؛ نرصف ذواتنا بالأسى ، والناس عويل ؛ نتطلع الى الفكر ، والشعوب تحشّس لتاريخ وتثبت بأرض ، واجتماع على مادّة ؛ نكبر على الجلي ، والامم أهتياج وسل سيف وحرب ؛ نغارب في فوق ، والآخرون في امام ؛ نتحفّظ في الوثبة قبل استكمال الهداية ، والتقدم على الاجمال جمع من جزئي المعرفة - قوى كلها قوى صكت الانسان على هذا الساحل اكثف ما أمكن انسانية ، وهدرت في وعيه أنه قشريّة في جسم الشرق ، وكلمة حق الى العالم .

لماذا نحنُ هذا ؟ بأيّ سلكةٍ تَمَرُّسنا على الزمن ؟ أيُّ القِيَمِ يَرِثُها اللبْنانيُّ منذ تَنفَتَحَ عِناه على بادرةِ الأَمِّ والأَب ؟
وراء الفرد ، عندنا ، أربعٌ من البُورِ العقلية التي كان نشاطها ، على الزمن ، هو الحضارة . أربعُ بُورٍ آيَتُها ، لا في أنها ابتدعت وحسب ، بل في أنها راحت أيضاً تَنفَتَحَ على زميلاتها الأخرى في العالم ، أَخَاذَةً منها ، خَلْأَةً لها ، وصَلَّةً بين متقاطعيها ، فكانت قسماً مهماً من التراثِ العقلي الواحد الذي يرصف الخليقة المستعدة : انساناً .

ما هذه البُورُ الأربع ؟ وما آيَتُها ؟
وقفت البشرية مكتوفة اليدين عند اقليم يعطي ، ولكن بتقدير ؛ ومتاور تقى من هجير وقر ، ولكن كلاً في صوب ؛ وخيرات كل أمرئ بحاجة إليها جميعاً ، ولكن كل مادة من موادها في جزيرة . - كان القدر سيّد الانسان .
ويبتدع مبتدعٌ آلةَ الحرث ، يُرغم الأرض على عطاء فوق العطاء . ويوجد البناء بالحجر كأنما يجرّ المغاور ، كلاً من رأس جبل ، بناصيتها ، الى حيث تتجمع فتكوّن المدينة ، فالمجتمع ، فالحضارة . ويدفع الى البحر يجذع ارز ينقل الى جزر في بحر الشمال مصنوعات لبنان ، والى لبنان قصدير بحر الشمال ، فيجعل الارض الغيبة كأنما تعقل في توزيع الخير . - في ذلك اليوم اصبح الانسان هو سيّد القدر .

وعرف الناس الذئب ، وحسب ؛ والمهيتا الطلق ، وحسب . فالمحسوس موضوع اشتغالات العقل لا يخضع لعقل العقل . - ليس إذن عقل .

ويمضي ماضٍ خطوةً في اكتناه الأشياء فيخلص إلى الشراسة من ذئابٍ تسطو بولد ، ومن أوجهٍ وسيمة الطلعة إلى الجمال . - في ذلك اليوم يجرد ، ويعود بوسعه أن يخلص من بضعة وعشرين حرفاً إلى الوف الألوف من خواطر البال . ومن المضي في هذا الاتجاه يكون للبشرية أن تحلم بهندسة وفلسفة وعلم .
تحدّى الإنسان القدر فكان السعي ، واكتنه المحسوس فكان التجريد .
وكان ذلك في صيدون .

وعبد الأولون آلهةً عدة . فالحقيقة عندهم غير واحدة . - لا حقيقة اذن .
اجل كان للبشرية الطفلة أن تتسم بالوحدانية في مصر وفي بابل ، وكان لآتيننا أن توجس تناقضاً بين جلبة الأولب والحقيقة الواحدة . لكن القدس هي التي حملت همّ الوحدانية .

وفي القدس لاحت للأعين صفحةً أخرى دفعت بالعقل دفعة كانت من العجب بحيث لم يكن هو يحلم بها في التفاتاته ، صفحة سكبت في الخليفة من تصرف الخالق . المجتمع كالقبيلة سواء بسواء . القدرة على البقاء بنسبة القدرة على البغض . والبغض لا يجبل ألا يبغض ، فالحرب محتومة أبداً . حالة شاهد عجز في الفكر ، تتناقض والتقدم الذي هو في طبيعة الإنسان .

ويرتفع صوتٌ يشرع الحب سنة في الناس ، فتزحف من أسسها علاقات البشر بعضهم ببعض ، ويضطرون إلى استنباط قواعد للعيش جديدة غير غزو المرء جاره ، وغير اتخاذ أرضه مدى حيويًا . عندما يقول يسوع : « أحبّ عدوك » ، تبلغ المحبة في تسوية الملائق بين الناس ، وتكون الكونية . فمن الكونية

أن ليس حلاً لمعضلتك ما لا يراعي معضلة الآخرين ، ولا حلاً لمسألة ما لا يأبه لجميع المسائل .

ولم تكتفِ الصفحةُ النيرةُ باطلاع الحق ، بل تروح تكشفه للعقول المنشركة ، فنعرف ان الحق معرفة ، وان الحق قدرة ، وان الحق تجسد . ونعرف ان المعرفة لا تكون المعرفة بدون قدرة وتجدد ، وهكذا القدرة بدون الآخرين ، وكذلك التجسد . كان قد قيل : الحق احد . فزادت : والأحد ثالث .

من الحب كانت الكونوية ، ومن تثليث الحق الأحد شئى كل شئ .
وكان ذلك النور في القدس .

وراودت خواطر البشر ، بين زمن وآخر ، فكرٌ كبيرة ، لكنها كانت تن على الزمن فتتلاشى . وعندما يُجعل للحق جسدٌ يكفل بقاءه في الناس ، يلمس العقلُ لمساً معنى هذه البداهة : كل كينونة لا تكون الا متى تجسدت .
بلغ الفكرُ من ذاته حدَّ الفعل ، صار الفكر هو الفعل . وكان ذلك في انطاكية .

وتمَّ حَبْلُ العقل بعلم سياسة الناس : نَظَرٌ في الأغارقة ، وتجربة عند الرومان . وراح الشرق يتوق الى يوم يتصل بتلك التجربة الفذة .
ويحكم حاكمٌ قلبه في همه حجازية قعساء حطمت الوثن وهدت باسم الله الأحد ، وبأله في بيئة شامية ربيبة التجربة الفذة ، فيدشن الشرق عهده بسياسة الناس بأمثل معنى عُرف من قبل ومن بعد . عندما يجعل معاوية الكبير دمشق قاعدة له تكون آلة حكم عجيبة ابداءها انها عرفت مقادير التركيب ،

ويكون من تراثها الحكمي (الدمشقي حضارةً وتقديرًا ، الدمشقي دماغاً
وقيادة) فتح عريض دقّ في الثلاث القارات ييارق راحت تظلّ المعرفة في
حقبة من عمر العالم .

عقلٌ توطن لهبَ الايمان فهر عالم العصور الوسطى برجل الحكم . وكان
ذلك في دمشق .



صيدون ، القدس ، أنطاكية ، دمشق ، يؤر عقلية أربع لا تنكفي على
ذاتها بل تروح تتعاك والعقل العالمي ، تخصبه ويخصبها . فمن صيدون تمضي
جالية الى مصر تؤسس أجمل احياء منفيش ، حيث تقوم حركة عقلية تكفل
تنشئة موسى بطل الوحدةانية ؛ كما يمضي فتح الى بلاد اليونان يبني مدينة
ثيبا ، مرضعة آثينا . واذا يشرق نجم روما النظام ، ربيبة آثينا المنطق ،
تؤثر كل منها في اثنتين من مدننا الاربع : عبر طرسوس تفعل آثينا في
انطاكية ، وعبر بيزنطية وبيروت تفعل روما في دمشق . ومن عصب
دمشق تكون قرطبة الاندلس ، التي تروح عاصمة العالم الفكرية ، بين عامي
ثاني مئة وألف . وتكون انطاكية قد انتقلت جملة الى روما النظام تجعلها روما
الروح . ومن هذه ومن تلك ومن آثينا تكون اوربا الحديثة التي لا ننفيك في
القرنين الأخيرين نشعل بها عبر باريس ، عاصمة العالم الروحية ومستودع الارث
العقلي الواحد .



من صيدون الى دمشق ، مرًا بالقدس ، فانطاكية ، فتشابكاتنا بعواصم

العالم العقلية ، تراكم اراث نير تقدير هاد قد تكون غفلت عنه ، في زمن من الازمان ،
مدن الخير الاربع التي اطلعت فتتركت انطاكية ، وتبدت دمشق وصيدون ،
وتصهنت القدس ، ولكن لبنان ما انفك على الزمن يحتضن ذلك الارث
بحرص موفراً له المضي في اتجاهه الذاتي الغد ، مؤمناً له - لانفتاحه - لفتاته
وساعاً كالعالم صوب كل تقدم في العالم .

هذا هو الارث الذي يكون لبنان وذاتية وراثه العقلي ، ويحدّه بأنه « ما
وراء » تخوم ونطق وعرق ووحدة تاريخ اي تاريخ كان .

إنه لمن ابداع لنا ذاتي ، ومن تفاعل بيننا وبين حوضنا العربي وحوضنا العالمي ،
تروح رسالة لبنان في بنيه فعل تكثيف للانسانية في الانسان ، وفي العرب
فعل حب وابداع ، وفي العالم فعل فهم واعطاء . فعل متنوع ولكنه ، على
كل حال فعل ، وفعل لا يوقف .

لا يتنازل لبنان عن رعاية العقل ، وعلّة وجوده الوحيدة أنه عقل ؛ ولا
يستجيز لنفسه ان يبغيض ، واجمل ما في تراثه انه حب ؛ ولا يقبل ان ينكفئ
على ذاته ، واتجاه فعله هو انفتاح على العالم .

ويستحيل ان تستغل على لبنان نورانيته هذه وجبه وانفتاحه ، وهي جميعاً
حق ، والحق قدرة فوق كل قوة .

سوف يكون لبنان ، بحكم إرثه ، هدياً لكل مستهد ، ومدرسة حب
لكل مبغيض ، وسعة لكل ابن حق ضاق به صغر الارض .

سوف يكون البلد الوحيد - اذا اقتضى الامر - الذي يأمن العقل فيه
ان يحكم على اي إله ولاي إله ، على اي انسان ولاي انسان ، على اي

عمل ولائي عمل ، وفي كل مسكن ، وفي كل شارع ، وفي كل ظرف .
سوف يكون له من تعدد الشيع والطوائف فيه نعمة تمرسه برحابة الصدر ،
وشرف السبق الى التأليف بين الأشياء . به يتعلم اليهود كيف الاقلاع عن
عنصرية ، ومنه تتلقن آسيا ، لا كيف استخدام الآلة ، بل كيف المساهمة في
العلم الذي اوجد الآلة .

سوف يكون له ، من ذراعيه المفتوحين لا تضيقان ، ركون الى مفكري
الغرب ، لا يأخذ عنهم كيف يقاتل الغرب ، بل ليضيف الى عقدهم قلباً
كبيراً يقتلع البغض من الغرب . من هنا مره مر الكرام بخطره عليه موهوم ،
مدسوس على نبالة العدل والنور في عالم الغد . ومها يكن من أسر فهو الموقن
بأنه باق ، لا بعشيئة من آخرين ، بل لأنه يريد ان يبقى . وحقه بالبقاء هو فعله
امس واعتزاه للغد . فعل واعتزام يبرهنان على ان القومية ليست اثر في ذات ،
وعصبية على جار ، وبغضاً لغريب ، بل مدماك متواضع في البناء الواحد .

من تراث نير قدير هادى ، عمرنا على كتف آسيا وطناً للحقيقة ، وجهرنا ، نحن
بنيه ، في وجه الغرب — ذاك المزيج من نور وحرب — ان لنا اليه رسالة مهدئة
من رعونته ، مخصصة من نشاطه ، مسددة من بصره الى ما وراء النفع ؛ رسالة
هدتنا اليها ستة آلاف سنة من الصبر ، والفكر ، وامتهان المادة ، والكفران
بالذات ، والتطلع الى فوق ، والتريث بالبادرة قبل وعي لكل ؛ رسالة فذة
في العالم تحولنا كبنة العالم .

نيسان ١٩٤٤

قدموس

لما اختطف زُوش ، كبيرُ الآلهة ، أوروبَ ،
بنت ملك صيدون ، لحق بها قدموس إلى
بلاد الاغارقة يستردّ اخته .

وفي اليومى قتل تينياً كان قد فتك باثنين
من رجاله ، وبأمر إلهة الحكمة بذر أضراره
في الارض ، فأنبئت رجالاً شاكي السلاح
اقتتلوا إلا خمسة أصبحوا فيما بعد نبلاء ثيبا ،
اولى مدن مئة واحدٍ سوف يبنيها قدموس .

وأورب هي التي أعطت الغرب اسمها ، كما
اعطاه قدموس حروف الهجاء ، اداة المعرفة .

اسطورة اغريقية

الاستُخاص

قَدموس

ابن الملك أشنار

أورُب

أخت قدموس وعروسة زوش

مِرى

مرضع قدموس وأورب

الاعمى

عراف اغريقي

جوقات

من إلهات ، وبجارة صيادنة ، ومقاتلة اغارقة

صخر موحش الكهوف من ساحل اليوسى في بلاد اليونان ،
في منتصف الألف الثاني ق . م .

الفصل الاول

المشهد الاول

أورب ، مري

أورب

علّهُ الحُدُّ ، يا سماء ، تَجَهَّمْتِ ، تعلّين ، فارأني بالجراح
لا تحوي من هدنة العمر ليلاً لا يحطّ التفاتة في صباح .
تجهش بالبكاء

مري

بضلوعي بكيت ، أورب ، فاصحي .

أورب

آه لو عفتني لوحي ، وآهي

مري

لا

أورب

غضبي

تجرات ١ ؟

مري

معتذرة

انتِ بنتُ أشنار ، مليكي ، وزوجُ زُوش ، إلهي .
واذا أدعي ، فدعوى ليلانِ رضعته من مهجتي شفتاك .

أورب

متأثرة معتدلة

عفو كفيك، يا مري، أنت، في الغربة، وجه من عهد لبنان، حالك .
أنا، يوم اعتلقت زوش، تحليت عن الكر فوق شطآن صور،
في كعاب الأتراب، يمحض خصري، دون شتى الحصور، بالبريد،
وتحليت - أين ضئة أمي - عن هوى ما سواه لمع سراب،
عن أب، سيد الحواضر، عن زند شقيقي، قدموس، زين الشباب،
عن قري من زمرد عالقات في جوار النعام، زرق الضياء،
يتخطين مسرح الشمس، يوكزن بلادي على حدود السماء .
كل ما كان عفته اكل ما كان وآثرت ضئة من حبيب،
واذكارا كالطل ينعش نفسي، كلما طوقت يدك شحولي .

تقي الى صدر مري

انتر حق أردته يحتوي عطر بلادي جميعه .

مري

أنا أدرى،

وتتذكر يوم اختطفت واياها من لبنان

ملء عيني عنك لوحة حب، بلبل جيد على البال كرا :
مركب مفلت من البحر، تيساه، يشق الشرابين والسنديانا،
تخذ الشكل عن غم الورد في البدعم، والدفق عن صبا لبنان،
وتحلى بالقل، والآس، والسوسن، من قمة الى حيزوم،
في هويناه مسح رب على الأرض، وفي الهيزلى انقراط نجوم .

ما لها تلة تقول لأخرى : « انا منه في موعد المشتاق ،
 حلت ضمتي به ، منذ كان الحب في تربتي ، وفي اعراقي . »
 وهو سام ، كأنما الصخر صخر لا دعت هضبة ، ولا حن قاع ،
 جده مجذافه على سندس السفح ، وشال الصاري ، وطاع الشراع .
 قلت : « يا ريح ، ها تراب بلادي هش للأخشب الموات ، ورقاً ،
 إحملني غداً رسالة حبر من بلادي تفجر الأرض رقفاً . »
 واستفاقت ، في ضفة النهر ، طيرٌ وتقت ، وحن غصن وشوق ،
 ستر المركب العلي ، ومُدت منه كفان تقطافيك زنبق .
 لم تشائي إلّا في موكب العرس ، ولم تجهشي على غير يوئي .
 انا لم انس .

أوردب

أيّ أمّ حنون كنت لي ، فانتحي ، ممي ، ليل نفسي .
 مري

أوتبكين ؟

أوردب

والزال ، مري ، والسيف أتى يُصب وجيعاً ، يصبني ؛
 غبن حسن ما ارتاح الا لحسن راح اللهم والتباريح ، غني .
 ضقت ا لولا مزيج فوق جفني لم يحيش أخي على الاغريق ؛
 لم اكن فيهم عروسة زوش ؛ كنت حرباً !

مري

بل جذوة من شروق :

جاء قديموس بالكتابة للغرب ، وبالعلم للأوآتي العصور ؛
وغدا يعرفون أننا ، على السفن ، حملنا الهدى الى المعمور .
ما تقولين لو تُسمي بلاد الغرب أورب ؟

أورب

لو تُسمي بأسمي ؟

میری

أعجيب ؟ ونحن أول من مدّ لأرض كفاً ، وطرفاً لنجم .
وهلقتة الى المغرب خاشعة ، تسميه باسم أورب

كن ، يها الصقع ، باسم أورب ، أرض اليثن ، أرض النهر ، وأرض الجبال .
باركتك اليدُ الأهلّت على الجذبِ عطاءً ، فخلّت العطلَ حالي .
ألست ، أول الزمان ، على خصب بلادي بالغيثِ المحراثِ ،
آلة الخير خلقتها تتحدّى ان تضنّ الدنى برزق بُغاثِ .
علّمت ، ويحها ، أن القتح كلّ القتح بالعمق ، لا بعرضٍ وطولٍ ،
أن إذا تطرق السواعد باب الأرض ، تغوى بأنهر وسهول .
والأذلت — يا نُبلها ، يد طلاع ، ويا بُغدها بصائر غمضٍ ! —
عنفسوان المجهول بالزورق الأول يُلقي أرضاً على حضن أرض .
والأسلت روح الخلوص من المحسوس تحبو العقل الوليد شمولاً ،
غربة في العلاء ما برح الانسان ، فيها ، يغالب المستحيلاً ؛
فضلة عن خوانها الابجديات ، وتأليف مستقيم ودائر ،
وتداعي لحن كأن كُورت دنيا ، وقطف للزهر طي الضائر .

أورب

هَجَيْتِي ، يَا مَرِي ، فَخَذَرْتَ نَفْسًا حُمَلَتْ ، لَوْ دَرَيْتَ ، هَمَّ اللَّيَالِي .
فَكَرَيْتَ ، فَكَرَيْتَ بِقَدَمُوسٍ فِي إِتْرِي ، مَشِيرًا حَفِيزَةً الْإِبْطَالِ ،
يَتَحَدَّى ، فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، الْإِغْرِيقَ يَا بِي إِلَّا مَرَدِّيَ عَنْوَهُ ،
يُزْرَعُ الرُّعْبَ فِي الْبِيُوسَى ، فَيَلُوحُ بِلَوَّةٍ مُوْطِنِي الْجَدِيدَ فَبِلَوَّهُ ،
ضَجَّ مِنْهُ الْإِغْرِيقُ ، ضَجَّ أُولُو الْأَوَّلَسْبِ ، فَاسْتَصْرَخُوا لَهُ الْتَيْنَا .
يُؤْغِرُ الْبَحْرَ ، فَالْأَوَاذِيُّ فِي الْبَحْرِ جِبَالٌ تَكْبُ رَوْعًا وَهُونًا .
مَزَقَتْ مِنْ سَقِينِ قَدَمُوسٍ ، مِنْ أَبْطَالِهِ مَطْمَعًا ، وَذَلَّتْ دُونَهُ ،
فَإِذَا زَنْدُهُ أَشَدُّ وَامْضَى ، يَوْمَ يَلْقَى صَدْرًا لَصْدَرِ قَرِينِهِ .
لَا يُرَى الصَّحُّ أَوْ يُخَرُّ قَتِيلًا وَاحِدًا مِنْهَا .

مَرِي

وَمَا الْتَيْنُ ؟

أَفْصَحِي ، وَالَّتِي وَقَّتْكَ بَعَيْنِيهَا الْأَذَى ، فِيمَ سِرُّهُ مَكْنُونُ ؟
مَرَّةً ، شَتَّتَ إِنْ تَبُوحِي ، فَعَاظَتْ شَفَّةً مِنْكَ خَلْفَ تَصْخَابِ آهٍ
إِلَهًا تُرَاهُ ؟ أَمْ هُوَ وَحْشٌ ؟ أَمْ هُوَ الْغَيْبُ أَثْقَلَتْهُ الدَّوَاهِي ؟

أورب

أَتُرَانِي أُدْرِي ؟

مَرِي

وَمَا قَالَ زَوْشُ ؟

أورب

قَالَ عَنْهُ : « أَمْرٌ مِنْ إِنْسَانٍ ،

مفلقٌ ، إنَّ يمينَ فاطفَارَ كَيْثِ وجنَاحي نَسْرِ على أفعوانٍ ؛
 ينفثُ النارَ من حديدِ لِسَانٍ ، ويفثُ الصخرَ الاصمَّ بنابه ،
 إنَّ يُنْفِضَ جَنَاحَهُ يَنْتَنِ الرودُ ، ويسودُّ زنبقٌ في شبابه ؛
 أو يُدِرُّ طرفه يصبُّ هجيرًا في عليل الصبا ويمجترُ نارا ؛
 راح اعمى عن الخليفة يلتذُّ ، إنَّ التذَّ ، جيفةٌ ودمارا .
 ذاك قرنُ القدموس عند طلوع الصبح .

مِري

أوربُ ، ما لصوتك هذا !
 فِيمَ تبكين ؟ فيمَ تحشين تنين البيوسى يلقى الغريمَ الأشدا ؟
 أنا أدرى الملا بغضبة قدموس ، وجسم من صمغ لبنان قدَّه ،
 طال ما استشرفته ، في الأرز ، عيني ، يافعا تفجر الفتوة زنده .
 أجفل الليثُ دوله ، فتحداه رشيقا ، وردّه مستذلا ،
 ضربة منه لا تخيب ، فإن ينقض يبطش ، وإن يشأ يتسللا .
 صدره ، عاريا ، أحنُّ الى الكر ، وكفاه ، عزلين ، أمر .
 يا له ، حين يطرح الخنجرَ الجهم ، ويمجري ، فالجواغبر ، حر ،
 يضرب الليثَ بالجماع على اليافوخِ ضربَ الشبعان من ثدي أمه ،
 فإذا صمَّ عفا عنه ، وإلا اعمل الزندَ محتويه بضيه ،
 سلّه من إهابه ، ورمى الارضَ بجثمانه يحرق ندوبه ،
 وتلوى عليه يمزق شذقيه ، فينمى الى السباع نيوبه !
 يا احتضارَ الاسود ، يا طرب السفح ، لوفيا تهوي به وتشيل ،

راح قدموس يتزل الوعبَ في الأجسام ، فالأرز ، هازجٌ والنخيلُ ؛
وتخافين انت ، ان يظفرَ التنين ؟
أورب

لو تدركينها ، مري ، أسراراً !

قَدَرٌ . . .

مري
بِمَ تذرَعَتُ ، بنتُ صيدون ؟
أورب

بما يقدرُ الامورَ الكبارا .
بتُ في امة تولهم كُثْرًا ، وتخشى ، عند الملأت ، واحد ،
المجلبي عليهم ، ذلك الاعمى ، وليُّ المصيد ، ربُّ الجلامد .
قدرٌ إن يشأ يغيضُ ذرى الاولب ، او يضرب الحضيضَ بزوشا .
شاء أن يعلقَ الاله ابنةَ الأرضين : سهمٌ الى السماوات ريشا ،
أغضب الخالداتِ فاهتجنَ مني غيرةَ الحسنِ ليس بالمعبود ،
وانبرت تدفع التحديَ هيدا ، زوجُ زوش ، بوعدها والوعيد .
خاف زوشُ عليَّ شرًا ، فخلني عند بابي ذِيالك التيننا ،
قال : « من صلبهن يحسبك وحش . فاطمئني ، ما لم يهن ، او فهونا . »

مري

بهد

هو إن مات . . . ؟

أورب

مت .

مري

لا قلت ا .

أورب

والآن ، الا تقدرينها الاقدارا ؟

مري

لا . وأبقى ابنة لصيدون ؛ هيأ أطلعيه ، صيدون ، شهياً نهاراً ،
هاتفاً عن يديك : «أنا أولي السعي ، ابيناه عاجزاً يتحكم ،
علمته خرافة» ؛ أفترضى ان تروح الدنى رهائن ابكم ؟ ا»
كل شيء من تلكم اليد .

أورب

حق ، يا مري ؟ يا مري ، ادفعني الموت عني ،

وادفعني عن اخي .

مري

فديتك ماذا ؟ أو جثناه في خطي المظلمين ،
وادعينا أن قدر القدر الأعمى ؟ أعز يشرى بلا ائمان ؟
اقتراش زندي إله وذكر في كتاب العلي ، وبال هاني ؟

أورب

أي عبء تحملت يثقل عيني ، ويطوي نفسي على الجرح طياً ا
خلثي نعمة تفتت في الكون ، فيغدو صدرها لها وحنياً ،
في غد ملتقى شقيقي وحامسي : على امتي ، وصوت شبائي ا
وانا ، في توقع الخطب ، غص من سراج ، وحفنة من ضباب .

زهرة لم تفتح على الصبح إلا هبت الريح واستعمرت الهجير ،
اتلعت جيدها فطيب على طيب ، وألوت فكل غصن كسير .
ما لطيف الشحوب يسحب في الأرض ، ويوخى الضنى على الأرجاء !
غم أسى ، أيها الغروب ، فما نجمك في افقه محاب مراد .

مرى

بنت صيدون ، والفؤادُ اليف السوهن ؟ !

أورب

من ذا ارى ، مرى ؟ العراف !

مرى

يا لأعمى مرجم أبدا بالشر . هيا بنا .

أورب

ومم نخاف ؟

ما تقولين لو نظارحه الامر ، وظني به رسول إله ؟

مرى

ترهات !

أورب

لا لا، وإن يثن قدموس ، فلا حرب ، بعد . . .

مرى

حقاً ؟ . . تباهي

وتقولين : « قدموس أقسم ما برّ بعهد ، يومئذ ليس يرمي . »
وتقومي وتقعدي لعظيم صد صيدون مرة عن عزم !

المشهد الثاني

اورب ، الاعمى

الاعمى

دون مرمى يدي ، على ساحل الاغريق ، وجه "جهنم" الاساريير ، داج ،
مترع "بالاسى" ، يهوم فيه جوع دنيا تنشق من امواج ،
فيم عيناه ترحان على الافق ، وتستطلعان ثخماً ثخماً ؟
ويد في مجاهل الجو تمتد تغلي نجماً ، وتقطف نجماً ؟
ما شيمي خب الغريب على الامس المدمى ، وموكب الغد صاعد ؟
شح "خائق" ، وآخر مذعور ، غنى بائد على قبر بائد .
في البيوسى الشكلى ، على حرم الاغريق ، اجلاف اجنب تترأى ؛
اين نار الاولب تنهال لا تبقي ، وتمحو الحواضر الغناء ؟
أورب

راجلة ، وقد أوجست منه تنضبا على بلادها

بشراً كنت ام الها ، ترفق ببقايا نفس غريبة دار ،
مرأة ملت الجمال ، فراحت تنتهي في قوامها المنهار ،
صارحتها حقيقة حجر يا ليتها اليأس والجمام الحبيب ،
نفحة مشرقية من خزام ، غفلت في الضحى ، فكان الغروب !

الاعمى

أنت قدموس ؟

أورب
من سواها إهمّ الأرض ؟ !
الاعمى

قري على ابن صيدون بالا !
موعدي بالتقائه الآن .

أورب
جوّد من دموعي ، ومن دمي ، الاقوالا ،
ضع على الصوت ، نبرة العسل الحلو ، وضع رقة القنّاة الغضوب ،
قسوة في رضى المحيا ، ولينا في التعدي ، شأن الحبيب الحبيب .
وتجنّب جوّ القلى وحراب الهزء ، وأضرب على الأحسن الحنون ،
خذه من قلبه العطوف على الضعف ، وخذه من كبره الصيدوني !
الاعمى

لم يعدّ بالبعيد موعداً ، فامضي .
أورب

تلّفت وانظر !

الاعمى
شاعراً يعظّر القادر من قولها له وهو اعمى : تلّفت

أجل .

أورب

قدموس !

الاعمى

اهري ، ويك !

اورب

ماليَ اشتقتَه ، فاشتقت دنيا في بردتين قميسُ ا
الاعمى

أسرعني ا
تخرجه اورب

يا خطي سدى حثها اليأس ، فابت في صفحة الرمل ونسا ،
زبدُ البحر واقف منه بالمرصاد ، والدمر منجلٌ ليس يعنى .
قدرٌ فوقنا .

المشهد الثالث

الاعمى ، قدموس

قدموس

مقالةُ جبنٍ ا شأ تزل دنيا ، وشأ تبني دنيا .
الاعمى

خلدُ عنك الزهو ، قدموس ، لاح النجم ، فاحبس ، لا تستخف الجنيا .
في تحدي الحصر ازدراء لجيل يرمز الوحش عنه ، والوحش ضار .
قدموس

انا من امي رسالة نور تترك الوحش غير ذي اظفار .
الاعمى

حدٌ من حدة ، وصيدون انتم ، ما تمستم بقرع الأسنه .

قدموس

صادقٌ أنت . ليست الحرب في صيِّدون قصداً مقصداً أو جِنه ،
غير أنا ، اذا نُضام ، نجيء المسوت شَمَّ الانوف ، حمر الصدور .
الاعمى

تستخف الغريم ، قدموس ، لا زنديك يقوى ، ولا حسامك يوري .
حربة الغرب ، حربة الغرب ، يا قدموس ، فارأف بكبرياء الجراح .
قدموس

ما تكبرت : مشرق الارض ساحي - أنا هدي - ومغرب الارض ساحي .
الاعمى

ما أذلَّ الغريُّ امساً رفاقاً لك ؟

قدموس

امساً . وارتدَّ عني كليلاً ؛
ما على الشمس ، ما على عرشها الثبَّت ، اذا الانجم انفرطن فلولاً ؛
الاعمى

انت في غربة ، فرققاً بصحب شرِّد ، دون موطن في الغداة .
قدموس

نحن صيدونيون ، موطننا الارض ، ونأبى اقلَّ ساح الحياة ؛
الاعمى

اليوسى قفرٌ من الرمل جذب ، لا نبات في صخرها ، لا مدائن .
قدموس

نحن غير الغزاة ؛ نزل قفراً فنخليه انهرًا وجناث ،
تورع المذن ، تورع الفكر في الارض ، ونمضي في الفاتحين مثلاً ؛

وَعَدًا تَعْرِفُ الْحَضَارَةُ فِي صَيْدُون أُمًّا ، فَتَنْعِنِي أَجْلَالًا !
الاعمى

أَبَدًا لَا تَنُوتُ قَرَصَانِ بِحَرِّ !

قدموس

تَهْمَةٌ تَسْتَخْفُ بِالشَّمْسِ شَانًا ،
حَبْدًا ، وَالضِّيَاءَ وَقَفْتُ عَلَى الْقَرَصَانِ ، لَوْ عَادَتِ الدُّنَى قَرَصَانًا !
الاعمى

مَهْلَ قَدَمُوسَ ، قَفْرَةٌ فِي الْبُيُوسَى فَوْقَ صَيْدُونِ رَفْعَةً وَالْحَوَاضِرَ ،
فَوْقَ مَا تَدْعُونَ مِنْ قَبْلِ شَمٍّ وَشَهَبٍ ، ظَوَاهِرَ بَظَوَاهِرٍ ؟
فَاتِنْدُ .

قدموس

نَحْنُ فِي ظَوَاهِرٍ ؟ نَحْنُ الْكَاتِبُونَ صَفْحَةَ الْحَقِيقَةِ شِعْرًا .
سَفُنَا الْآلَفِ مَا تَتِي هَيْبَةُ الْأَعْصَرِ ، تَقْرِي الْمَجْهُولَ بِحَرًّا فَبِعَمْرٍا .
عَمَّرْتَ جَزْرَكُمْ عَمَائِرَ غَنَاءَ ، وَفَضَّتْ غَنَى ثَرَاكُم مَنَاجِمَ ،
فِي كَرِيَتِ النُّحَاسِ ، فِي قَبْرِصِ الصَّبْغِ ، وَفِي رُودَسِ الْقَلَاعِ الْجَوَاثِمِ .
وَإِشْرَأَيْتَ إِلَى جَزِيرَةِ تَلَسُو تَتَسَلَّى نَضَارَهَا إِبْرِيَا ،
قُلْ أَمِنْ الضَّارِيُونَ عِبْرَ الْأَلِشْبُونِ^(١) يُفْلَتُونَ فِي الْبَحَارِ الْكَنُوزَا ؟
يَقْحَمُونَ الْبُسْفُورَ ، حَيْثُ الصَّخُورُ السَّنْبِلِيَّاتُ^(٢) جُوعَ الْغُورِ ، فُجَعَ ،

(١) دَرْدَنِيلُ الْأَقْدَمِينَ

(٢) اسْمُ لَصْخُورٍ مَخِيفَةٍ كَانِ الْأَقْدَمُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَنْطَبِقُ عَلَى الَّذِي يَتَوَغَّلُ فِي
الْبُسْفُورِ . . .

مطبقات على المغامر ، يستحقن ضلوعاً منه ، ويندفن مطمع ؛
 بشل يرحون في جسر اكسين^(١) ، على رحمة الرياح النواهم ،
 لا يشدون قبل عجرة القوقاز سفناً ، ولا يهون عزائم .
 قل امن النازلون قيصرية بعد ، وايطاليا ، وجزراً ، وجزرا ،
 يوقظون الدنيا على ضربة المعسول مستعمراً ، فتنهض سكري ؟
 سفنهم في الجنوب تهيم على النيل اختراعاً ، وفكرة ، وصناعة ،
 فاذا الطرف جاب منقيس مصر ، خلت لبنان مستقلاً شراعه .
 قل امن الفاتحون افريقيا بكراً يشيدون قبة في المغرب ؟
 درة البحر ، قيل تصميم فتح في غد باسم قرطجئة ضارب ا
 الامى

فاخر قدموس بفتح صيدون بحر المتوسط ، وقد أتمته في منتصف الألف الثاني ، أي في عصر
 قدموس ؛ ويتكلم الأعشى لناية في النفس ، وهو عراف على فتح صور الذي حصل بعد ذلك العصر .

خل ، قدموس ، عنك ؛ ما امس إلا ومض برق من ضجة الغد نذر ؛
 ستحرون ، بعد ، جمجمة الارض ، فيرقى على يدين الفكر .
 كل صرح ممرّد ، في ربي صيدون ، رمل في شط صور طريح ؛
 تتركون البحار خلف هواكم ، لا تكلون ، او يكل الطموح .
 آخر الابيض الرحيب مقل السفن من تزهة لكم قراءة ،
 لا البليار شافيات غليلاً ، لا ولا غاليا الجميلة داء .
 صفحة الارض حدها الهرقيات^(٢) ، وتأبونه على الارض حداً ،

(١) البحر الاسود (٢) كان الاقدمون ، قبل السوريين ،
 يتقيدون أن الارض تنتهي عند اعمدة هرقل ، جبل طارق اليوم .

فتفضون في المحيط دنى بجكراً ، لها رعشة العصور مرداً .
تقحمون الإيبيريا ، والقسيديد^١ ، والجزر ، عبر بحر الشمال ،
وتعتنون ، حول افريقيا ، ملحمة من حقيقة وخيال .
عدن أرضكم ، وحران ، والهند قواديم سفنكم ، والصواري ؛
وتقولون بعد : « صيدونيا الأم ، وصيدونيا وراء البحار . »
منكم فارس الوغى يتحدى أمة سوف تسترق العوالم ،
ترحف القارتان خلف جبال الألب ، في ركبه ، اذا استل صارم .
رومة دمية له ، ورؤي ايطاليا الحضر ملعب لخصائمه ،
يكتب الفتح في مقدمة الفتح ، ويبقى للدهر فضلة شانه .
سفر حرب يقول ، يوم التنادي : « لسان تلتذ الثوآد ،
كل يوم محجل ، بعد هثيعل ، ومض من سيفه جواد . »
هو ، يا ابن الصيدونيا ، حظكم يوماً ، تهزون صفحة الارض هذا
وتقلونها ، الى الشمس ، في مركب ارز يهدي الى الشمس أرزا .
تقحمون المجهول من ساحة الفكر ، وتلهون بالحقايا الاحاجي ،
كل شيء منكم وما انتم يوماً ؟ لأنتم ذكرى سني في الدياجي .
مشدداً على هول النهاية بعد ذلك المز

ما لعيني ترى لكم قبة شهباء ، مخنوقة بجيظ معار ،
أجفلت دونها الجبال ، ويكفيها ، لتهدد ، لفتة الاقدار .
فأشف قدموس ، من طموحك .

(١) شمالي انكلترا

قدموس

ما قلت ؟ واختي ؟ وموعدي بالزوال ؟

الاعمى

دون امينتيك هول .

قدموس

واذلالُ شراعي ، امساً ، ورغمُ رجالي ؟

الاعمى

المقاديرُ او طموحك ، يا قدموس .

قدموس

لا شيء في طريق الطموح .

قلتَ أنا سننقعمُ البحرَ والبرَ ، نجرُ الفتوحَ تلوَ الفتوحَ ،
ومن الموطن الصغير ، نرود الارض ، نذري ، في كل شط ، قرانا .
نتحدى الدنيا : شعوباً وامصاراً ، ونبني - آتى نشأ - لبنانا ؛
وترجي مني ، أنا ، الجنة الاولى ؟ ترجي مني ، انا ، الانهزام ؟
ما يقول الغدُ المحجلُ عن قدموس ، يومَ الدنيا لنا ، اعلاما ؟
يومَ تجني صيدونيا الزرقةَ الرجة : مجداً ، وثروةً ، وحضارةً ،
ويرى الفتحَ فتحة كل قبيل فوق لبنان ، والبحارَ بجاره !

البحارة الصيادنة

من الداخل

غربي ، يا بحار ،

شرّداً بالأمل النضر ،

وأغرسي ، في آخر الارض ،

كرمة لي ، ودار ا

قدموس

هم رجالي ، وبعض عزم وراء النحر .

الاعمى

لا طبت ، سيف صيدون ، بالا ا

مهدا منندا

يطلع الفجر في غد يوم تنعق ا

يخرجه

قدموس

يوم ا ما هز يوم جبالا ا

البحارة الصيادنة

من الداخل

طيع مركبي ،

يقهر الفلابة الأمواج ،

يحفر التبر ، يصيد العاج ،

في حمى المغرب ا

بالنا ، والشرز ،

هدينا ، واللفتة العليا ،

نحن جئنا بها الدنيا ،

فوق جذعي شجرا ا

ستار

الفصل الثاني

المشهد الاول

اورب ، الاعمى

الاعمى
أَقْصِرِي فِي النَحِيبِ ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَيَّهِ .
اورب

أنا ١ ٩

الاعمى

نَصَحْتُ وَجِيعًا .

وَإِذَا السَّهْمُ كَانَ آخِرَ سَهْمٍ ...
اورب

كَانَ ، يَا قَلْبِي ، مِرَاةً وَدُمُوعًا .

الاعمى

شَتَّ طَعْنًا عَلَى الرَّجُولَةِ .

اورب

أَتَى لِي ، إِذَا شَتَّ ، أَنْ أُسْلَّ وَأُضْرَبُ ،

وَأَنَا الظِّفْرُ قَلَمُوهُ ، وَقَالُوا : « رُدَّ عَنْ مَشْرِقٍ ، وَقَاتِلْ الْمَغْرِبَ ! »

الاعمى

خَالِصُ النَّصِيحِ مَا ابْشُكْ ، أَوْبُ .

اورب

وما النصيحُ ؟ أن أُحطِمَ حيي ؟
دُمِيَّةٌ صُفَّتْهَا مِنْ الْحَلَمِ الْفَرْدُ ، وَرَضَعْتُهَا بِأَطْبَاقِ شُهْبٍ ،
عَانَقْتُهَا أُمْنِيَّتِي ، قَبْلَ أَنْ هَمَّتَ بِكَوْنٍ ، وَقَبْلَ بَرْحِ الْخِيَالِ ،
كَانَتْ التُّوقَ مِنْ ذِرَاعِي ، إِذَا مُدَّتْ ، وَكَانَتْ ، إِذَا هَجَسْتُ ، بِبَالِي .
مَنْ مِنْ الْبُكَرِ الصَّيَّاتِ لَمْ تَحْلُمِ بِزَوْشٍ ، وَلَمْ تُعَلَّ عَلَى أَسِيهِ ؟
تَتَنَاسَى لَهُ الْمَزَالِيحَ عَمْدًا ، خَوْفَ أَنْ تَعْنِفَ الْمَزَالِيحُ تُدْمِيَهُ .
وَإِذَا صَارَ لِي أَنَا - أَنَا وَحْدِي - جِثَّتْ تَرْتَدُّنِي إِلَى قَدَمُوسَا ؟
ظَالِمٌ أَنْتَ !

الاعمى

مِنْ عُرُوسٍ لَزُوشٍ أَفَاسْتَلُّ لِلشَّمَاتِ عُرُوسَا ؟
اسْتَحْتُ الرِّبَاتِ ، فِي غُرْفِ الْأُولَابِ ، يَهْزَأُنَ بِالْغَرَامِ الْفَقِيدِ ؟
يَتَمَطَّيْنَ فِي الْأَسْرَةِ وَالْحَزْزِ ، وَهَزَجِ الْحَلِيِّ ، وَكَدْسِ الْوُرُودِ !
« أَيُّ أَرْضٍ ، يَقْلَنَ ، طِفْلَةٌ حَبِيبَةٍ ، جِرَّاءُهَا عَلَى حِمَى الْأَرْبَابِ ؟
أُسْعِدْتُ ، سَكْرَةَ الْهَوَى ، وَاسْتَفَاقْتُ : يَا تَرَابًا أَشْوَاقَهُ لِلتَّرَابِ !
قَهَقَاتُ ! كَيْفَ الْأَسْنَةُ فِي الْوَقْعِ ، وَكَيْفَ انْتِقَاضَةُ الْبَنِيَانِ !
يَفْعَلُ الْهَزْءُ فِي الْجِبَالِ .

اورب

لِمَنْ قَلَسْتُ ؟ وَهَزَيْتُ أَنَا بِنَفْسِي بَرَانِي .
شَرَّقِي ، أَيُّهَا الصَّبَا ، عَلَّ غَصْبًا ، عِنْدَ حَصْبَاءَ ، مَا يَزَالُ وَفِيًّا ،

هجرته عصفورةٌ كان نجواها ، وكانت غرامه العبقرياً ؛
 ما شكا مرةً سقاماً ، ولا تسم في مسمع الليالي بعثب ،
 وجدت فاكثني ؛ وما همته كانت لغصن ام للحضيض الجدير ،
 آية البال حبه راح يعطي لا أرتضى قبضةً ، ولا هو آثر ،
 يسأل الخير ان يكون ؛ سواء ناله المجتدي او نال آخر ،
 موطني ذاك ، فاحليه على العتب ، اذا جئت موطني ذات يوم ،
 يا صبا ، وانظريه لا زال يُضفي فوق جريحه بسمه بدل لوم .
 هُزُو بي ، وصافح موطني عني ؟ لأي النبال اوجع وقعاً ؟
 لا مرداً

الاعمى

ألا التقاؤك قدموس تقولين : «عد بنا اضقت ذرعاً
 لا انا في الجمال اهل باولمبير ، ولا انت في الوغى ند زوشا» .
 اورب

قلت شق الصواب ، والحق كل ؛ لا تلاعبت بالقوى ، فتجيشا .
 الاعمى

ساعد المرء ، لودريت ، هو الحق ، وما الناس والسواعد مرضى ؟
 اورب

قل ، فما هم ما تقول على الغمد ، وأما إن شمت سيفاً فغضاً .
 الاعمى

ويك ، حدي من مطمع لم ير النور ، ومن خفق أجنح لم تهلاً ؛
 وأرجعي في ركاب قدموس ، لا انت افتتحت العلى ، ولا هو ذلاً .

ولخير تنازل عن حبيب من لقاء القدموس حمل المحامل ،
بسفريه

وتقولون - يوم تهزج صيدون ، ويمشي الى السفين الساحل ؛
وتتوج الفصون من قم المكمل ، جذلي ، الى مطل الغروب - :
« هو هذا اليرثها من إله وفي هذي التسله من نيوب . . . »
اورب

راة على تريضه باهلها

تصديات الاكف لسن خفوقاً من فواد : يمضين هن ، ويبقى ؛
صفت للطلاء كف ، ولم تخفق ضلوع إلا لما كان حقاً .
الاعمى

بعد ما خلتي زعت - ولا املت ، عبر البحار ، صيدون ، رفدا -
جل قصدي أن ليت تصحين من زوش ، وقدموس من وغي فتجدنا .
اورب

كشر النصح عن نيوب ا

الاعمى

تجنيت .

اورب

وما النصح لم يجلبه حب ؟
عضدا جتتي ، فوضت جناحي ، دَعَكَ لا لي قوي ، ولا لك رب ا
الاعمى

قسة فأكتفي .

اورب

شعرتُ . تشبَّثْ ، ايها الحُلم ، بتُّ عند الشفير .
الاعمى

مضرباً ايها بالاستسلام للقدموس

دربُ قدموسَ من هنا .

اورب

دعك مني ا

الاعمى

وقريباً يَرُّ .

اورب

يا أرضُ ، دوري ا

المشهد الثاني

اورب ثم مري

اورب

مُرَّةً لفتني الى النجدة الجوفاء ، والصدرُ بالفراغ يضيقُ ؛
انا مرميةُ الطريق بكنتي لبكائي ، وما هَدَّتْني الطريقُ .
بين قدموسَ ، سيفِ صيدونَ ، والغريِّ ، واتيَّ طعنةَ الخالداتِ ،
مهجتي ، انْ نُسبتُ عرقاً ، وزندُ الباسطِ النجمِ والسهي لا تغاقي .
يا اَسْمَينَ لوحاً ، فأذلاً في سمواتها عُلَى عنفواني .
مَنْ يُصِيبُنِي أَقْلُ له عند قبدي : «لِمَ ، ياسهم ، انت ا دون الثاني ا ؟»

ما لعيني غامتا ، ولقلي أثقلته مرارة فتداعى ،
وتراخت يدي تلمس لحناً كنه في المدى ، فالقته ضاعا ؛
وتهاويت جذلة للقائي هذه الأرض ، عند وقعي أرضا ،
منّة يا دقائقاً لم تزل تسبح حولي ، لا تنهي الدهر ركضا .
تدخل مري
عبث رده ا

مري

علمت .

اورب

انساء لم يزل أن اراه .

مري

انت ا ؟

اورب

ونحيا .

مري

وتعودان ا ؟

اورب .

بمسرة

ما عطفت المسأ فوق زندي ا

مري

ولا هو احتلّ دنيا ا

رأيك الرأي ام ركنت الى آخر ؟

اورب
لم استمع لآخر ، عمري .
مری

ايُّ سم !

اورب
نفسه ، انا وحدي .
مری

لست صلاً

اورب
بُدلتُ اليوم .
مری

كالما درت ان الاعى هو الذي اتبعها

ادري .

اورب
لا تقصيني عزمتُ فلا ارجع .
مری

لا قلت .

اورب
او تكو في الرسولا .
مری

انا ! ؟

اورب
تستعلفينه يلبان طاب طعماً على فتيانا ، وسولا ؛

بليال سهرتها لم تبالي طاولت أم دجت ، اذا نحن كتا ،
بيد إن تضم تورده عمراً ؛ وبقلب ان يُعطر يسكنه ظنا ؛
باغان عندلتها عند مهدينا ، فقاما على جناح اليام ؛
أن دعر الضربة الغيبة ، قدموس ، فما كنت خنجراً في الظلام .
انت انت الوحيدة الوقع في قدموس !

مرى

رفقا ! انوء بالعبء حملا .
اطلي العمر أمتنه على رجليك ، لا تطلبي الي الذلا .
انا علمته التمس بالمجد ، وألقيا الفرسان صدرا لصدر ،
ومحط العيون فوق ، ودرء السيل يهوي بالراسيات ويذري ،
وابتدار الجلى باسبق من جلى كأن عوجل القضاء برذر ،
واقترحاما يموت لم يلتفت ظهرا ، ولا أخذ في المات ، بجدة .
أتريني ، اورب ، انقض قولي ؟

اورب

ودموعي هذي ؟ وتخمش الحدود ؟
وابتأس الغيات والموج والشطآن في مد طرفي المهسدود ؟
أهي اشياء ؟ لا ، وأفديك ، من اشياء تشجى شجوي وتأسو جراحي .
اذكريها يوماً .

مرى

كانما لا تجد ما تقوله

أحبك !

اورب

حقاً ؟ واذا كريني على ضريح الصباح .
كان قصرًا هذا الوجود ، فكيف انهار ، والعمر سائح في فناءه ،
وهوى بالعلي من عمد هيفاء راحت اشلاء خلف مسائه .
نوحث حيث كان زقزقة الطائر ، ما آنت كاسر صحابا .
تنهر الثانيات ، كرت على الارض تقالا ، أن لا تحري الترابا .
قبلات هنا ، وسكب دموع ، وقدود ، هناك ، غنت ليانا .
أيهدي الانتقاض عجلت بالحلم ، فهيلي من فوقه البيلسانا !

مرى

رأفة بي

اورب

وانت ؟

مرى

أرأف من سهمك .

اورب

كانما شامت بارقة امل

ماذا ؟ رضيت ؟

مرى

لم ارض بعد .

اورب

بعد ! ؟ يا طيب ما يهم بوعدي ...

مرى

لم أعد ، لا .

اورب

... وما هنالك وعد؟

مری

أَوْتَرْضِينَ لي بها، إن انا ارضى؟

اورب

انا اخذتُ بين شرين.

مری

كُفِّي .

كلما دُحِتَ تقنيي، شعرتُ السمَّ في بستي له، قبل كُفِّي .

اورب

أَوَأُولَى من ان اروحَ انا القاه؟ ماذا؟ وينطوي اليومان :
عهدُه ههنا، وعهدي بدنيا زوش، والصفو، والهوى، والاماني !
كان لا بُدَّ من هناه يُضْحَى ؟ فَلِمَ اتنانِ ؟ !

مری

تظلمين مرادي،

لم يفتني أن لو تراجع قدموس لكان السوادُ بعضَ سواد .
وبقينا : انتِ المليكةُ في زوش، وأما انا... .

اورب

كانما تريدونها

مری ا

مری

... فخرؤنه ؟

زَيْتُ خَفْضَةِ الْجَنَاحِ لِنَسْرِ شَكِّ فِي مَلَبِ النُّجُومِ جِيئَهُ .

اورب

مَنْ ؟ مَرَى ، مَنْ سَوَالِكُ يَرَأْفِ بِي بَعْدُ ؟

مرى

حنانيك لا ا

اورب

مرى ، رحالك ا

وكم املت اقناعها تروحه تغريها بان تدلها على الطريق التي سيسلكها قدموس

هذه دربه ، وقبل بزوغ الصبح .

مرى

سُتِرَتْ ، دُورَةُ الْاَفلاكِ ا

البيوسى ، غداً اغاريدُ نصرٍ حولِ تَقِينِها ، وهزجُ نساء ،

وفتى الشرقِ موحدٌ ، لا قدودٌ راقصاتٌ لسيفه المغطاء .

أولن يستثيره ، يا ترى ، الشوقُ ، ويهفو به الى صيدون ،

فيقول : « أصعدي اليّ دفوفاً ومزاميرَ وأشهدي ليسيبي ؟ »

واذا بي القاه مقروحة الاجفان ، ندابةً احراً الجلامد ! ..

جُتِعت بي انا نساؤك ، صيدون ، غداة ابنك استطاب الزغارد .

اورب

بياس

انا ريحانة الخريف شجاني نبأ الغيب مُزِقَتْ استارهُ ،

غدَي الزمهريرُ إن قلتُ ابقى ، وريعُ امسي يهدُّ اذكارهُ .

كان ايارُ واقتراري في السّوفِ ، ويأتي الآتي واحلاه فُضًا ،

لم يزل لي الألك ، يا صُفْرَ اوراق ، فطبي كحلاً لعيني ، وغمضا .
واغمريني ، فانت احني على الارض ، وابقى من كل رفء وهل ،
أعلى سؤلهم ، وما بك من فقر ، فظلي فريدة دون سؤل .
بقيت خطوةً اليه ، وتحكى قصةً من خرافةٍ ومحال !
قيل : « كانت الهة » . وانتهى القول ! فيا طفلةً هت بظلال !
نافذة الصبر

ما لقدموس لم يُطل ؟

مرى

كالما تستيقظ من غفلة

كليه لي . رضيتُ التقاءه بدموعي .
اورب

كالما لا تصدق

أَوْحَقًا !

مرى

طبي - فديتك - نفساً واطمئني الى جريح ضلوعي .
تعالق اورب

اورب

قادمٌ من هناك .

مرى

طلعة قدموس !

قبل ان تخت إلى الكهوف التي سوف تختبئ فيها

اورب

تسلمتِ ، يا مرى ، آمالي ،

ليس إلا يداك بعدُ تشاءان ، فصيحٌ غدي ، ولا، فليالٍ ؛
..

وأحذري لا يَخُنْكَ لَفْظُ كَحْدِ السِّيفِ يَفْرِي ، او كَالْتَعَلَّاتِ يُفْرِي ،
ان يَفُتَّ قَوْلُكَ النِّفَادُ اِلَيْهِ ، فانا ههنا لافْضَحَ اَمْرِي ،
وتكونين انتِ سَلَمَتِي

مرى

ربي !

اورب

وتحِينَ من يديك بِشَانِ ا
كلما هَمَّتْ تَوَاضَعُ لَكَ الْاِثْمُ ، فَاجَلَّتْ مِنْهَا تَلَحُّقَانِ !!
قلبا الى احد الكهوف

المشهد الثالث

أورب (مختبئة) مرى ، ثم قدموس

مرى

رَأْفَةُ بي ! وهَمَّتِي جَلَمَدُ القَاعِ ، ولي - مَنْ مَصْدَقِي؟ - بعضُ قلبي
يصدُم الصَّخْرَ في الليالي فيرنو قائلًا: «هل أصبتُ صَخْرًا بِكَرْبٍ؟»
ذدتُ عن ركبنا الى الشمس بالغضبة جاشت في صدري المكلوم ،
لستُ فيهم ، فهل اقلُّ من الايمان بالفاتحين ارضَ النجوم ؟ !
هو قدموس ! ما اقول لقدموس !؟ وهل في الوجود غيرُ الحقيقة ؟
شيمةُ النبرة العلية في اهلي ، وفي تلكمُ الجبال الطليقة ،
طوقونا بها قلائدَ حُسْنٍ ، وزهونا بها على كل شَاهِقٍ ،
رب ان خَشْتَهَا فلا خَفَّتْ نَارُ بصدري ، ولا نَعَمْتُ ببارق !

ويحَ اوردبَّ ! ما اراقتَ وما نالتَ ؟ خداعاً مني لنفسي العليَّة !
وكلاماً ينتق الزورَ في عيني ويودي بالمكرُمات السريَّة !
لِمَ ، يا قولُ ، ما عييتَ عن القول ؟ ولارحتَ شيمة الصخر شهما !
شرفُ الصخر ! أنه القبرُ لا ينطقُ ، حين القولان تجوابُ اعمى .
ما الحياةُ ؟ انتباهةٌ من فتى سكران ، عابر ، مشوِّه القسماتِ ،
وقعتَ عينُه على حاله ، فانهاك شتاً على الصباح الآتي ،
ثِملاً ؟ كان . والذي يلطم الآن جيناً كمن يحطم آتة ،
ليس في سكرة ولا في خبال : بشرٌ مَجَّ لليلي انسانه !
يدخل قدموس فيصدمها انه يتقلد سلاحاً

أَسِلَاحٌ ، قدموسُ ، والحصمُ أفعى ؟ !

قدموس

مرضاً بها هي وقد تواطأت مع أختها على الهرب

عدتُ اخشى ، مري ، نيوبَ الافاعي !

مري

لنفسها

ربِّ ا

لقدموس

والعهدُ بالتزول الى الساحاتِ كالحق ، اعزلاً ، والشاعر ؟
قدموس

كان .

مري

من ذا يقولها ؟ انتَ قدموسُ !

قدموس

وعَمَّنْ أَخَذْتُ نَقْضَ الْعَهْدِ!؟

أَقْصِرِي ! فِيمَ جِئْتِ؟

مرى

اسألُ حَقَّ الْعَبْدِ - فَأَرَأَيْتَ بِهِ - عَلَى الْمَعْبُودِ .
ما انا مَنْ تَرَوُغُ ، او تَرْتَضِي الزَّوْرَ : انا جِئْتُ اَطْلُبُ الْمُسْتَعِيلَا ،
انا ادري اَنْ لَيْسَ يُعْطَى ، وَإِنْ تَجْمَلُهُ صِيدُونُ سَوْكَا الْمَأْمُولَا ،
مَطْلَبٌ ذَلُّ مَجْتَدِيهِ وَمَعْطِيهِ ، وَجَرَحٌ لِحَاظِرِ يَسْتَعِيدُهُ ،
وَلَهَا نَحْطٌ مَنِي فَأَدْرِي مَا لَبَانُ أَرْضَعُهُ - فَارِيدُهُ .

قدموس

تَطْلِبِينَ انْكَفَاءَ صِيدُونُ؟!

مرى

لَمْ تَسْبِرْ مُرَادِي .

قدموس

لِحَيْرٍ مِّنْ تَعْمَلِينَا؟

مرى

إِسْمَعِي ، يَا طَوَيْتِي ، ظَنَنْتِي خَنْتُ . وَقَدْ مَوَسَّ ، مَا خَفَضْتُ جِيئَنَا ،
وَبِلَادِي - انا اِثْرَاها هُوَ الْكَحْلُ ؟

قدموس

كانما يخاطب نفسه

لها نبرة البريء أصبى !

لمرى وقد عاوده احتياجه

ويثيرُ الضيرَ ما طلبتُ مني ! تمزقتُ ، يا قناعاً كذوباً ،
حسبنا رشفة من الكأس ؛ هل السفيتُ في الكأس غيرَ سمٍ نافع ؟
ربِّ افعى كسوتها ثمن الحُبِّ حريراً ، وبات طفلكَ جائعاً !
مرى

متجالددة

اعطني ، ربِّ ، أنْ أغالِبَ صوتَ السَّمْعِ صبراً ، وإن انا اشتقتُ دمعاً ،
فبكاءً ، ويكفهرُ صفاء العيشِ اندى من الهنآت وقعا .
اخنقي من اسالكِ ، يا عبراتي !
لقدموس

هل يقولُ الماضي لقدموسَ شيئاً ؟
ما انا اليوم في الوجود ، انا في الامس : لبنانُ في مدى عينياً ،
ذاك قدموسُ دارجاً عند بابي ، وذراعاه مُدَّتَا لعناقٍ ؛
من رأى يا ترى ؟ أَمِنْ تسهر الليل عليه ام ... رمةً من نفاقٍ ؟
قدموس

لا ، وتُفدّين ، لا تقولي اتهاوى كلُّ ما بي من شاهرٍ تيّاه ،
وبكاني الطفلُ القديمُ .

مرى

تجنّيتُ ، رضيعي ، وسَيدي ، وإلهي .
قدموس

مَنْ تُراني مرتجماً حين اختار : مري الشهبام مري الاوحال ؟
صفحةٌ تمبق الكرامة منها ام صراطاً يجري وراء الضلال ؟

لم تزل واجداً عليها ؛ ويبكي لأسأها ، لو ينطق ، الجلود ؛
غداً...
مرى

قدموس
ما يهم إن غداً أنهار ، وتبقى هذي النجوم السود !

مرى

أنجوم من بعد اورب !

قدموس

من اورب ؟ ماتت مذ ودعت لبنانا !

مرى

لم تودع لبنان ، لبنان رفق ؛ نحن ، أنى كنا ، رفقنا ؛ فكنا .
دعك لا تحفل الحفيظة ، قدموس ، ولا تجتد السلاح البوار .
يعدل الحكم حين يصلح أهله ، فاهم ضغينة وآثارا .

قدموس

انت ؟ ما انت والتبجح بالعدل ؟ ترى العدل عاد دمية لاعب ،
لفظة في فم الاثيم ؛ الا ينجل أعمى يرنو الى الشمس كاذب ؟
كان لي بعض رحمة فاستحالت مذ نكأت الجراح حقداً وثارا ،
واخال الهوى توحش في صدري ، فانشبت بالهوى اظفاراً .

مرى

لنفسها

رب أمسك بها ! فلا لقيته وحش غاب .

عهدي بقدموس أعلى .

قدموس

إثمُ اوربٍ حطّنا من علانا وكسا أرضنا ، على الدهر ذلاً !

تظهر اورب من مخبئها نافذة الصبر على رزاة

مرى

ربّ لا تسمع المليكة !

اورب

ملكٌ ! ؟ ماء وجهي أعزُّ عندي وأبقى ،

اغمدِ السيف في فؤادي يقطرُ شرفاً عندما يُسلُّ ، وخلقاً !

قدموس

لا ! وسيفي يعفُّ عن طعن أنثى .

اورب

أنبا ؟

قدموس

بل سخا .

اورب

رددتُ السخاء !

لستُ أخشى ، قدموسُ ، سيفك فاضربُ ؛ ما صباحُ أهنته واضاء ؟ !

قدموس

وبلاذٌ هجرتها !

أورب

دعك منا . بين طير وعشها اسبابُ ،

كل يوم لها طوافٌ بدنيا ، والطوافُ الأشهى اليها الايابُ !
انا اوربُ ، عُدْ باوربُ ، قدموسُ ، ولا يقتلْ بيَ الوطنانِ .
قدموس

انطقي بأسم واحدٍ .

أورب

لا . وهذا وطني بالهوى ، وذاك غاني .
قدموس

لستِ منا !

أورب

رحمك !

قدموس

رحمًا لمن كادت لأهلٍ صيدٍ وباعت بلادًا ؟
أورب

ضتمُّ بي ؟ ! ورحمةً من بلادي تَسعُ الارضَ حيًا والجمادا !
قدموس

ابلاذُ عُنَّتْ وظلت على العهد ! ؟
أورب

بلادي انا ، ولبنانُ عهدُ !
ليس ارزًا ، ولا جبلاً ، وماءٌ ؛ وطني الحبُّ ، ليس في الحبِّ حقدُ .
وهو نورٌ فلا يضلُّ : فكَّدُ ، ويدُّ تبذعُ الجمالَ ، وعقلُ ،
لا تقل : « أمتي » ، وتسطو بدنيا ؛ نحن جازُّ للعالمين واهلُ !

قدموس
عبث لا اعود او اقهر القري .
أورب

لا لا تضل .

قدموس
اهوى الضلالا

أورب
يـم تفوّهت ، يا اخي ؟ عـقّ صيدون ، وغـيـض انهارها والجبالا ،
وأشرب الخمر في جماجم اهليسا ، ودس تاجها ، وذلل السريوا ،
وأزرع الملح حيث ماتت فـا تـحيا ، ولا تذكر الضلال فخورا !

قدموس

ويـم الفخر ، بعد اورب ؟

اورب

بالرحمة سطرتها سخيا شفيقا ،
تأخذ العالمين بالحبة والرفق ، وبالهدي ، إن يضلوا الطريقا .

قدموس

اي عرق في الغرب ينبض بالرفق ، فيجزي الجزاء حبا بحب ؟

اورب

اي صيدوني ترابي على البغض ، فيحيا للنار ضربا لضرب ؟

قدموس

علمونا ، فسوف نضرب بعد اليوم .

اورب

عارُ ما قُلتَ ، قدموسُ ، عارُ .

قل : « بلِ الخيرُ أن نعلمهم نحنُ ، فما علمُ البناءِ الدمارُ »
المقاتلة الاغارقة

من الداخل

طابَ طابَ القتالُ !
واغتدى الليلُ قصيرَ الاجلُ ،
ضجُ ، يا فجرُ ، وقلُ للازل :
نجمُ صيدون مال !

ما لها تُطرقُ ،
مذ جرى الغريُّ ، هذي الجيالُ ؟
وامحى عن جانبيه المجال !
وامحى المشرقُ !

نحنُ ، يا شرقُ ، لا
ننتهي ، او نقهرَ المركبا ؛
غُلُّ بجرًا ، وافتحْ كوكبا ،
تبقُ دون العلي !
قدموس

واجبي .

اورب

لا ، وتربِ صيدون ، لا تحفِلُ .

قدموس

بلی واجبی دعا.

اورب

لا تَسْرِعْ ا

وَأَتَسُدُّ عِنْدَمَا تَرُدُّ ذِرَاعاً ؛ رَبِّ قَلْبٍ خَلْفَ الذِّرَاعِ تَقَطَّعُ .
عُدُّ بِنَا ، يَا أَخِي ، فَهَا أَنَا أَرْجِعْتُ .

قدموس

معاذَ العلی الرجوعُ بِرَأْهِ ،

وَالْتَزَاعُ أَغْتَدَى تَوَاعاً عَلَى الدُّنْيَا ، وَحُكَّتْ بِجِرَائِي كُلُّ جِرَاهِ ا
هَمْ ارَادُوهُ دَامِياً ، فَلْيَكُنْ أَدْمَى ، وَيفصلُ على كُرُورِ الزَّمَانِ ،
بَيْنَ سَيْفِ أَهْلِ اَعْتِدَاءِ وَسَيْفِ هَادِمِ حَدُّهُ ، وَبِالْهَدَمِ بَانٍ .

ستار

الفصل الثالث

المشهد الاول

مرى وحدها

لا ، ولبنان ، ما نَمَّني جبالٌ كَرُمْتُ فازدردتُ من الناس لوما ؛
لا ، ولا عزيمةٌ بجذاف طفلٍ حالمٍ كيف يُلجمُ البحرَ يوما ؛
عندما رحتُ استطيل الى التَّنين ابصارَ رعدٍ واهتياجٍ ،
وانا في الشباب من بطن وادٍ هَوَّمت فيه ريبةٌ فهو داجٍ ،
لم اكن شئتُه فأعتادَ مرآه ، ويا هولَ ما تصدَّى لواءِ
ذلك الغربُ يستحيل الى وحشٍ ، ويغوى بالمغلب المِطاء .
خفته - عفوَردن قدموس - يهوي فوق قدموس ، ضافي الجسم ، طودا ،
ساحقا ، ماحقا ، يكاد حضيض الارض يُخشى له ، اذا مرَّ ، عودا .
ما دهاء الرجال ؟ ما غيبةُ المثانف ؟ بالٌ معطلٌ مسحورٌ ،
ايها الغرب ، هاتِ ما ليس بالضخم - كبير ؟ بالعقل انت كبير
ربما رُحتَ تقهر الامةَ الحفنةَ ارضا ، والمقرئةَ اُفقا ،
فأخشها ، عهدَ قولها القولُ ، هبت تتقاضاك ، ايها الغرب ، حقا
يشتد تشاورها

لم اخف ، لا ا وريبةٌ خامرتني انا جسمُها فحرتُ ضلوعي .

ولم الليل في شاعة عيني ؟ وعلام الجفاف طي ربيعي ؟
من أسراً احتمالة الحسف في روعسي وقال : « أنتهى غداً ، قدموس » .
توأم العزم ، حامل الشرر الاول يهوي ، وفي الوجود شمس ؟ !
سوف نبقى ايشاء ام لا يشاء الفيد ، فاصد ، لبنان ، ما بك وهن !
سوف نبقى الا بد في الارض من حق ، وما من حق ولم نبق نحن !

الشهر الثاني

مرى ، أورد

أورد

بتقريب

إطمتني بالآ ، مري ، أشبك القرنان .

مري

رحماك ، لا ترشي السهام !

أورد

انا ؟ من لي بها فارسها تقتت من مهجتي دماً وعظاما !
رمقته عيني ، فيا بوئ عيني ! يقحم الموت ، عهد ، وهو قانص ،
يضحك الضحكة المرنة كالسهم ، ويجري كعدو في الفرائص .
حمل الريح وقعه فظننت الشط يبغي ، والبحر يعرفه همد ،
والصباح المسفوح في جثم الامواج يعلو ، كمن اطل ، ويشدو .
داس ضرع الاغريق قدموس ثباتاً ، عبقري الهنات ، طلق المراد ،
لم يؤن خصمه ، ولم يؤن الساحة ، كالطود لم تخفه عواد .

ومشى ، مسحة السنى ، هل نضا سيفاً ؟ وهل سلّ خنجرًا من حزامه ؟
لا ، وروعُ التّين يغلي وعيناهُ مهاوٍ من القلى ومهامد ،
يتمطى تهيوّ الحامل الضاري ويلتفّ طبعَ الجسم ، ضامر ،
يضرب الارضَ بالجنّاح وبالذيل ، كمن يقحم المحالّ مكابر .
قال قدموس : « ها انا ا » واحتواه بذراعيه .

مري

أكلني ، ضاق صدري ا

اورب

لم اشأ أن احطّ في الأوجع الطرف ، فروحي أشهدهما ، عند قبوري ا

المشهد الثالث

أورب وحدها

نوّت ، نفسي ، بالعبء ، فاعتمدى الارضَ ، اما هزّنا اليها الحنين ؟
وانتحي مطرحاً من الصخر خشناً ؛ ربّ صخر ، عند الشكارة ، يلين .
ربّ ، ما نفحةُ السعادة في الارض ؟ ضحى خاطفٌ يزور النياما ؛
حظّهم منه مطمعٌ بالتلاقي ، فان استيقظوا غدا احلاما .
انا خلتُ الحياةَ مدّ ذراعين اليها ، ورشفتُ ثغري جليل ،
واكتحالاً بالصّحو والأمل الطلق ، ومرّاً في خاطر المستحيل .
ضجّة فوق اضلعٍ واجداتٍ ، وقياماً عليّ سنى وأريج ،
ضاحكاً وجهها ليجبوحة العمر ، على رقتين من دملوجي .

فَبَدَّتْ جَوْفَاءَ كَالْقَبْرِ ، إِلَّا مِنْ خَيْفِ الْأَطْيَافِ وَالْأَشْبَاحِ ،
 هَلَاةٌ خَفَقَتْهَا دَمُ الْأَنْجَحِ الْبَيْضِ ، وَنَفَحَتْ رِيَاءَ مَوْتِ الْأَقَاحِي .
 لَيْتَنِي رَحْتُ لَمْ أَضُقْ بِهَا فِدْعَاءً ، وَحَنَيْتُنِي كُرُورَ ثَوَانٍ ،
 أَشْهَدُ السُّمَّ كَيْفَ جَوَّدَهُ اثْنَانِ لِكَأْسٍ هَمَّا بِهَا ثِيْلَانِ .
 مِنْ مُعِطِ الزَّمَانِ عَنْ عَرْشِهِ الْفُغْلِ ، وَمُسْتَصْرِخٍ ، مِنْ الْغَدِ أَنَّهُ ،
 عَلَنِي أَفْجَاءُ الْغُيُوبِ سَلَامًا قَبْلَمَا تَقْتَدِي ظَنِّي وَأَسْتَه .
 أَيَا الْإِنْتَظَارُ يَا صَفْحَةً مِ الْعَمْرِ حَبْلِي بِكُلِّ مَا لَيْسَ يُقْرَأُ ،
 خَلَتْهَا صَخْرَةٌ عَلَى الْآنِ شَدَّتْهُ إِلَى بَعْضِهِ ، فَسُتِرَ دَهْرًا !

المشهد الرابع

أورب ، الأعمى

سَلَّ سَيْفًا قَدَمُوسُ مَا حَدَّهُ حَدٌّ^{الأعمى} ، وَحَامِيكَ مَشَخْنٌ بِالْجِرَاحِ .
 أَوْرَبُ

لَا تَخَفْ أَنْ تَقُولَ : «مَاتَ» ! وَلَمْ يَبْقَ لِعَيْنِي مَطْمَعٌ بِصَبَاحِ^{الأعمى} !

لَمْ يَمُتْ فَأَنْجِدِيهِ !

أورب

وَيْحَكَ ! مَاذَا ؟ أَوْ أَغْدُو فِي ظَهْرِ قَدَمُوسٍ خَنْجَرٌ ؟ !

الأعمى

بَلْ تَذُودِينَ عَنْ حَيَاتِكَ ، أَوْرَبُ ، إِذَا ذُتْ عَنْ دَمٍ رَاحَ يُهْدَرُ .

أورب

فيمَ تُغري يدي بسفك دماء وانا رحتُ من يدي اتبراً ؟
يوم دَلَّت على البسيطةِ قدموسَ وخلتُ، أَلَّتِي تنهدتُ، ذكرى.

الاعمى

ايُّ ذكرى وما وفيتِ بعهدِ !

أورب

لحيب !

الاعمى

لا بل لحامي حماك .

اورب

يا لوحشٍ ينبغي انتصاراً لوحشٍ !

الاعمى

بل يحفاظاً على كذابٍ هوالك .

أورب

بتفجر وحسرة

هكذا ، يا هواي ، لوَحَّتْ تغريني بعمرٍ أغنيّة الأدهار !
لم تكنْ إلا لتستترَ عيباً هو ظفرٌ ، ولا كظفر الضواري .

الاعمى

مَن ترى أشعل الوغى ؟

أورب

هبة قدموسَ ، أأقضي انا على قدموسا !
آخُ قاتلُ اخأ وُيوى النور ؟ الا دُمت ، يادجى ، لي انيسا !

وتمزقت ، قبل ان طبت في ثغرين ، يا قبلة الغرام الشهيد ؛
للجفون المقرحات ، متبقين ، وللدمع حافرًا في الحدود .

الاعمى

لو تصدّرت وسع يونسك ، فالأقدار عني ، تحبو وتمنع .

أورب

تحبوا

يقرأ الفجر من غيوم المشايا .

الاعمى

ويلاقى ، قبل الهناء ، الصعب .

أورب

فليكن ما يكون ! أحيالك ام لا ، يا حياتي ، فما أنا إلا بالي .

الاعمى

أنت ، أورب ، تكفرين بنعمي ؟ أنت ، يا نجمة تمرّ ببال .

أيها الحسن سكّ من سكّ الشمس ، وقال : «أزدهي على كل حسن .

وأخلي حبة القلوب ، وضجّي ، في تثنيك ، بين ريف وجفن .

أنت للتاج ، للتحرش بالاولمب ، للغرف طار بالاوثار ،

ولارض جاءت الى الكون ، مذ جثت على سبعة من الاطيّار .

أوأشهى من الحياة ؟

أورب

بلى ، اعمى البيوسى ، أن يُزدرى بالحياة !

يوم تغدو نصيب حرّ بريء حثّاه للغدر سيف الجنّة .

الاعمى

مَنْ سَوَاكَ الْاِثِمُ ؟ فَمَحِينٌ حُلُمًا يَتَخَطَّى الدُّنَى ، وَنَحْنُ نَقَاسِي ا
أورب

مَا غَوَّثَنِي الْعُرُوشُ يَوْمًا وَلَا السَّوْدُودُ : أَحَبِّتُ فَاسْتَثَرْتُ الرُّوَاسِي .
الاعمى

أَقْصِرِي ا كُرُّ ثَانِيَاتِكَ مَعْدُودٌ ، وَدُنْيَاكَ خَطْفَةٌ فِي الزَّمَانِ .
لَكَ اَمْ لَا رَأْيٌ ا فَقَرِّي عَلَى رَأْيٍ ؛ وَلَاتِ الْبُلُوغُ بَعْدَ التَّوَانِي ا
أورب

وَيْكَ مَاذَا تَرِيدُ ؟

الاعمى

حَبَبَ دِمَاءٍ .

أورب

كَيْفُ ؟

الاعمى

رَدِّي عَنَّا الْكَمِيَّ الْعَنِيدَا .

أورب

هُوَ يَا بِي .

الاعمى

دُوسِي الْاِلِيَّ ، أَقْتُلِيهِ .

أورب

هُوَ قَدْ مَوَسَّسَ ا

الاعمى

لَا تَقِيْمِي حَدُودَا .

المشهد الخامس

اورب ، الاعمى ، مری

مری

وقد سمعت قول الاعمى

ألقى به الجواب سيفاً رهيماً .

الاعمى

كانما يبرر مطلبه

صرع الوحش وحش صيدون جينا !

مری

لا ! وكان الحُصَمَ الشريفَ فعلاً ؛ راحَ بأسو جرحَ الجريح ، ويُعنى ،
وَكُنْ بُكَّتْ أَنتَعَى ؛ قلتَ أسيانَ ؛ وقلتَ احترامَ نذرٍ لنذرٍ .
وتننى لو ينهضُ الجبلُ الموتورَ يحبوه بالجوابِ الأشدِّ .
كاد يرضى بالنصر ، لولا هتافٌ خلّته الدهرُ صُدَّ عند الشفيرِ :
« يا ابن صيدون ، طرُ وأنيجز عليه ، انت ، وازرعِ اضرأسهُ في الصخورِ
تُنبتُ الارضُ ماردینَ عُلَى يبنون ثيباً اعجوبةَ الأجيالِ .
هي أُولى حواضرٍ مثقٍ تُبنى على أسمِ القدامسِ الابطالِ .
هم لولا أنْ عاودَ الحُصَمَ عزمٌ ، وكن هبَّتْ اصبعاً في جراحه ،
سَلَّ من ضعفهِ قوی ، وأتى قدموسَ في جَهمِ ثأرِهِ ووقاحه .
رَدَّ قدموسُ عن سخطا .

اورب
اوأرداه ؟ ا
مري

تشكين ؟ شمتة أستل عضبا .
ما استطابت عيني التفاتاً الى القتل ، وعفتُ التقاء حاميك كُبا .
الاعمى

أولم تشهيد يسقط ؟

اورب
ما هم ؟ ويكفي أن سل قدموس سيفاً .
الاعمى

كانما لا يزال يؤتمل ان يكون الوحش على قيد الحياة .

ربما . . . فانهدي .

مري
الى اين اورب ؟
اورب

الى حيث يعدل الحيف حيفا .

مري

ألى زوش ا ؟

أورب
إي وقدموس ، أرتدُ بسيف العلى على قدموسا ا
الاعمى

لنفسه
فَعَلَ السُّمُّ فِعْلَهُ فالى الساح .

الشهر السادس

مرى وحدها

تضلّان ، والذي ضلّ ديسا !

تصلي

ربّ ، رُدّ القوى تألّبن يضربن ، وُجدَ لاتَ ما خلاكَ يجرّد !
ربّ ، جَلّتَ يَمناكَ لا تعرفُ القَبْضَ ، فَمَنَ مِنَ نَدَاكَ لا يَسْتَرِيدُ .
كَلِمَا غَبَّتِ الحَساسينُ من ماء ، رَنّتْ حُلوةً اليكَ بِشُكْرِ .
وتعالَت اليكَ ، في ضَجّة الصبحِ ، صلاةٌ من زَقَرَاتِ وزهرِ .
جُمِعَتْ ، رَتِي ، الخَلِيقَةُ في صوتي تناجي ، وَسَبَّحَتْ تَتَغَنَّى ،
وَعَلَّتْ ، في رَفعة الرأسِ والطرفِ ، جُشُواً من رَكبتينِ وَوَهْنا .
وَأنا استَجِيرُ بِالرحمةِ الكَبِري ، بنورِ الأنوارِ ، بالينبوعِ ،
أَنْ تَقْبَلَ رَتِي قَرايِنَ حَبِرَ ، ورجاءِ ، وَذَلَّةِ ، ودموعِ .
أعطينا ، قبلَ كلِّ جدوى ونعمى ، أَنْ نَحْطُ التَّفَاتَةَ في سَنَاكَ ،
كُلُّ ما دونَ وَجْهِكَ الجَمِّ وَهْمٌ : أعطِنَا ، ربّ ، أعطِنَا انْ نَراكَ !
وتَرَأْفَ ، يا أَيُّها البَحْرُ ما حُددَ بِجَدَرٍ ، بِاللائذِ المُحْتَاجِ ،
وَأَنْصُرِ القابِسينَ من فَيْضِكَ الحَقِّ الى الكَوَكِبِ الضالولِ الداجي .
لَأَلَاتِ كُلِّ هَضْبَةٍ فوقَ لَبنانِ تصلي ، وَهَامَ كُلِّ فضاءِ ،
وتَسامى مَجامِرًا جَبَلُ الاطِيابِ ، فَأَفْتَحَ ، يا رَبِّ ، بابَ السَماوِ !

المشهد السابع

مرى ، الاعمى

الاعمى
بشر شعب الاغريق ! بشرك ، اورب ، فقدموس بين حي وميت .
مرى
كذب .

الاعمى
لو رأيته جرّ الحزى جريماً على الثرى ، لاذريت ا
مرى
كان دنيا .

الاعمى
وذله الحُصم ذلاً .
مرى
انا ابصرته فرى كبرياءه .
وتلقاه ، حذرة الرد ، بالضربة كبت على الحضيض مضاءه .
هاج يكسوها العجاج ، فلم أبصر سوى السيف صاعقاً كالضير ،
والاساطير حول ضربته تولد في الصخر ، في الربى ، في العصور .
أجفل الشط ، اجفل الموج للساحة ترتج بالبطولة عرياناً ،
فتعير البحار خوفاً ، وتكسر الصنم عمقاً ، وتكسب الشمس جلياً .
انا احسست عند وقع الجناحين صراخاً من عالم في انهيار ،

يتولى محاولكاً في الدهارير ، ويفنى مولولاً في الدمار .
وعلى الانمل السنيات من قدموس بيضاء نجمة تتفتح ،
صاعداً من غيرها مثل صرح يتعالى بين النجوم ويمرح .
افهذا ، اعمى البيوسى ، يُسام الخسف والذل ؟ لا .

الاعمى

بلى ا وقضاء

حطاً من كبرياته عند صخر قابع ، فهو والمنى اسلاء .
من معيني اُصب في سمعك الوقعة ابلى فيها القضاء سخياً .
قال : « ما كان للمكابر عزم » وطواه على المذلة طياً .
انا ، من خيفتي ، حملت الى زوش صراخ الصريع هولاً وطولاً ،
انا ارجفت حول قدموس أنباء اقشعرت لها الفرائص هولاً ،
حركت زوش رعدة فجرتة غضباً مثرع الجموح ، أصباً ،
فعلت في يديه صاعقة شطاء ، مولودة مع الدهر قدماً .
ومشى في غماتين الى قدموس ، يهوي بزعرع إثر زعرع ،
شدّد الوحش صوته ، فتلى من نيوب في فكّه ليس تشبع ،
هب يطوي العجاج في طلب الثار .

مري

وقدموس ا

الاعمى

في آتقاء الصواعق ،

لَفْتَةٌ فِي اللَّظَى ، وَأُخْرَى إِلَى الْحَصَمِ ، وَلَا زَنْدٌ ، حِينَ يَضْرِبُ وَائِقٌ .
أَبَدًا لَا يَقَرَّ عَيْنًا ، وَإِلَّا حَطَّتْهُ مِنَ السَّمَاءِ شَظِيبَةٌ ،
أَبَدًا لَا يَكُرُّ كَرَّتَهُ الْأُولَى ، وَإِلَّا التَّقَتُّ نَابٌ فَتِيَّةٌ .
فَهْوَى .

مِرَى

لَا تَقْلُ أ

الْأَعْمَى

وَجَرَّرَ جِثَانًا عَلَى الْأَرْضِ .

مِرَى

لَا !

الْأَعْمَى

وَعَفَّرَ حُلْمًا .

مِرَى

خَلَنِي أ

الْأَعْمَى

وَانْطَوَتْ عَلَى لَيْلٍ عَيْنِيهِ أَمَانِيَّةُ الْبَوَاسِمِ جُحْمًا .
وَتَرَاءَتْ لَهُ ، عَلَى الْبُعْدِ ، آمَالٌ عَرَّاضٌ فِي كَسْفَةٍ وَأَصْفَرَارٍ ،
وَجْهٌ صِيدُونِيَا يَغِيبُ ، وَغَابَاتُ الصَّوَارِي الْعُلَى ، وَمَلِكُ الْبَحَارِ ؛
وَرَأَى مَخْلَبًا ...

مِرَى

حَنَانُكَ أ يَكْفِينِي .

الاعمى

وناباً...

مرى

دعني ا

الاعمى

وعيناً...

مرى

أقلاً ا

الاعمى

ورأى رغبةً اللعاب على الفكّين.

مرى

هاربة

لا لا لا

الاعمى

رأى القضاء مُطلًا .

وانا ذاهلٌ على صخرتي ، أزهو كاعمى في ثأره غير اعمى ؛
أفعم الشمس في الضحى ، فاردُّ النصرَ كنفًا وأطلعُ العزَّ وهما .
ريبةٌ بي ؟ ضللتِ ، مُرضعَ قدموسَ ، رجاءً ، ضللتِ سهماً وقصدا .
فخذيهما وقيةً عصفت بالفتح يئساً ، وبالجزائر جُرّدا .
انظري ، تلتقيه أضغاث حلمٍ ، نصرَ قدموس .

المشهد الخامس

الاعمى ، قدموس

قدموس

نصرُ قدموسَ دام !

الاعمى

ربِّ اقدموسُ في الوجود ؟ !

قدموس

وما هدته ذنهمُ الأهوال والآلام !

وقعةٌ كالكَذاب ! يشقُّ من الغيب ، وشقٌّ من الليالي الدياجي ،

مستجماً ذاكرته

كيف كانت ؟ بينا أنا تحت وابلٍ راجمٍ من صواعقٍ وعجاجٍ ،
عشاً احتمي بأشدق غورٍ ، عشاً اتقي بأصلع صخرٍ ،
ونيوبٌ صفراء تلعب دوني في صريرٍ يحزُّ أعماقَ صدري ،
لوحت لي ، على البعيد ، يدٌ بيضاء ترهب بالأحمر الأرجواني ،
ذكرتني أوروبَّ ، عهدَ العذارى طافراتٍ على ربي لبنان ،
أيّ نعمى في وجهها الاسنى الاغريق بادٍ ، ولا جلالُ الغروب .
قدّها شلحُ زنبقٍ وادعٍ عفٍّ ، وتخطو فالانس ملء الدروب .
طوّقتني بالبشر ، مذ ضحكت لي ، ودرتُ صوبَ زوشٍ تسأل رِفداً ،
كلما من طرفها نارَ زوشٍ راحت النارُ ياسميناً وورداً .
فتنفّستُ اجتدي عزمةً عادت على وابلٍ من الزهر نازل ،

وتنفضتُ الغبارَ عني وأشرقْتُ ، فالقيْتُ على الجِسمِ حامل .
خلني خلني من الفخر .

الاعمى

ما مات ا

قدموس

بلى ! راح في الرمال صريعا .

الاعمى

قُلْتُ ا

قدموس

مات الصباحُ في تينك العيينِ ، واربدَّ كلُّ أفقٍ وريعا ،
وعلا هاتفٌ أنْ « أفترض من فكَّيه ، وأزرع اضرأسه في الفلاة ،
تُنبِت الارض من يشيدون للقدموس أولى المدائن الخالدات » .

الاعمى

هل أجبتَ الداعي ؟ ا

قدموس

كانما يلوم نفسه

اجبتُ ! وما انجزت حتى لم يبقَ ظلٌ لوؤيا ،
وتهاوى الظلامُ حولي كثيفا ؛ خلتُ دنيا راحت تحطم دنيا .
وعرا بسمتي خريفٌ من اللون ، وأحسستُ وحشةً في الصباح ،
اي جفنٍ يُغضي فيلهب صدري ا اي جِدٍ يُلوي فيدي جراحى ا
وسرى الخوفُ فيَّ للمرة الاولى ا سرى ؟ لا .

الاعمى

بلى، وكان نذيرا !

قدموس

بِمَ أُنذِرْتُ ؟ قُلْ

الاعمى

باورب ، يا قدموس .

قدموس

اخوتي . . .

الاعمى

فجيا الصباح الأخيرا !

قدموس

يفتديها . . .

الاعمى

مَنْ ؟ أيها الصارع العزمَ يقيها أسنة الخالدات .
انتظرها امرئ من شجوك اليوم ، وأمضى من مقلب الحشرات .

قدموس

آه ! أخوتي .

الاعمى

ما أجل الآه سيفاً قاطعاً في يد الكمي فرندا .
قم الى سيفك الجديد ، وأفجم قدرًا رحت تدريره ، وصدًا .
« قدرٌ فوقنا » مقالة جبن ؟ أرني ، يا أبتها ، وغى غير جبن ،
بطل ؟ كنه في لقاء المقادير صباحاً ، أو كنه طرفة جفن .

أخْتُك اليوم والمنية...

قدموس

زورث .

الاعمى

زَجَرَ السيلُ ، وَهِيَ مِنْهُ حِصَاةٌ .

خُذْ ، فَتَى الْبَحْرِ ، خُذْ بِنَاصِرِهَا ، فَالريِّحُ هَبَّتْ عَكْساً وَلَيْسَ نَجَاةٌ .

قدموس

ويدي ! ما يدي ؟

الاعمى

خيوطٌ من الوهم ، وومضٌ من السرابِ نَجِيلٌ ،

فَأَبْكِيهَا .

قدموس

لا

الاعمى

تَقُولُ : « لا » وعلى وجهِكَ جَهَشٌ من الأَسَى ، وعويلٌ .

قدموس

انا

الاعمى

او هي من مرأَةٍ ، في سَرامِيكَ أَزُورَارٌ ، وفي قِوَاكِ خِوَارٌ ،

واجفُ الجِسمِ ...

قدموس

لا ! وبأَسَى ، يا اعمى ، وزندي ؟

الاعمى

هشُّ ولونٌ مُعارُ .

طيفُ جسمٍ يكاد يُخلِّعُ اليومَ ويمشي عليك .
قدموس

لا .

الاعمى

ويدوسُ .

قدموس

انا أغنيَّةُ الرماح ، عِنانُ البحر ...
الاعمى

امساً .

قدموس

امساً ؟ انا قدموسُ ،

تَوَّامُ العزم ...

الاعمى

هاتِ من عزمك اليوم ، وَخَوِّزِ في صفحة الأقدارِ ،
نُحْطُ في صِبتك المريضِ ، ولو حوفاً ، وزحزحُ قِلامَةً من غبار .
قدموس

جَهْمَةٌ طلعةُ الصباح ، وخرساءُ التنادي في أضلعي المِغولاتِ ؛
ويكاد الشاعُ يلهبُ أعصالي ، وَيَهْمِي أَسْتَةً في شكاتي .

الالهامات

من الداخل

— ما لهُ الدمعُ طاباً !

— حسنُ أوروبَّ طواهُ الردى .
— رُقَى ، يا وردُ ، ونُحْ يا ندى :
« وجهُ صيدونَ غاب »

الشهد التاسع

قدموس ، الاعمى ، مرى

قدموس

وقد رأى مرى تدخل عليه مذعورة ، مهدودة القوى .
وحدك اليوم ؟ افيهم صمتك ؟ اُضجى . أَوْحَقْ عويلُ هذا السكون ؟
أَوَاغَمَضْتَ انتِ عيناً عليها واخَذَنْتِ البهاءَ طيَّ الجفون ؟
أَوْشَمْتَ الذراعَ تهوي على الجسم ، وكانت إشارة في الكمال ؟
شَرَدَتْ فاقْتَفَيْتُهَا ، فدَفَعْتُ الصَّخْرَ من غفلة الى صحرٍ بالٍ ،
أَوَمَاتَتْ عروسُ لبنان ؟ ا جوعى ، يا ترابِتنا ، الى رَطْبِ ظِلِّ ،
واهدنى ، يا غصونُ ، واصفراً ، يا زهرُ ، فَمَنْ بَعْدَهَا لحسنٍ ودَلِّ ا

الاعمى

مُدَّ كَفًّا الى الحقيقة ، يا فاتحُ ، وأَلْسَنُ فما الحقيقةُ زورا .
تَقَعِمُ الارضُ ، تَقَعِمُ النجمةُ الاخرى ، وتبقى دون السماء صغيرا ا

الالهامات

من الداخل

سوف تبقى ، غداً ،
للاولى يمضون لا يرجعون ،
— حُدِّم في السعي حدَّ المنون —

إصبعاً في الهدى .

غَنِينَا بِأَسْمِهَا ،
واقِعاً مَلْءٌ ، فكان الخيال .
مَنْ تَرُوحُ تَقْرَعُ بَابَ الْمَحَالِ
وَتَقْرُءُ ، يُذْهِبُهَا !
مرى

كأنما تنعى ادرب
غابت الشمس !

قدموس

رَبِّ !

مرى

وقد ظهرت رؤيا لمدينة تشاد مشيئة الاعمدة ، شاهقة القباب ، توصف حجارتها ، كما جاء
في الاسطورة ، كلُّ رَدًّا على لقر ، ومداميكها كلُّ إجابة لإيقاء .

حَدَقْ !

قدموس

وكأنما تهلل وجهه لأول مرة

هم صيدون راحوا بينون ابراج ثيبا ،
رفعوها أبهى من الفكرة العذراء اغنية ، وامضى وثوبا
البحارة الصيادنة

من الداخل

غربي ، يا بحار ،
شُرِّدًا بالامل الفضل ،
وأغربي ، في آخر الارض ،

كرمة لي ودار .

الالهات

من الداخل

— ما لهُ الدمع طاب ا
— حسن اورد طواه الردي ا
— رقي ، ياورد ، ونح ، ياندي :
وجه صيدون غاب ا

الاعمى

وقد ظهرت رؤيا اخرى ، قبالة الاولى ، لالهات ينتحبن حول قبر من رخام عالم اليق .
قبر اورد ا

مري

ولم تنفك شاخصة الى الرؤيا الاولى

ملك صيدونيا ا

قدموس

محطاً يتأرجح بين المشهدين

قسماً من هداية وفتوح :
نحمل الارض ، إن نشأ ، فوق كفين ، ونغضي كيشة في الريح ا

تمت

وضعت في ضهور الشوير ، في آب ١٩٣٧

اميد النظر فيها وزيدت في رحلة في آذار ١٩٤٤

طُبع في « المطبعة الكاثوليكية »
بيروت ، لبنان .

1.
26
5

Bibliotheca Alexandrina



0419829